

الخطبة التاسعة عشرة القلب السليم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين... والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم أحيينا على هذا وأمتنا عليه واحشرنا عليها... آمين.

هدف كل إنسان مؤمن وعاقل أن يفوز بالجنة وينجو من النار، هذه حقيقة لكل المؤمنين... والطريق إلى الجنة موضحة ومرسومة من الله سبحانه في القرآن الكريم في مواضع كثيرة... والرسول وضح وبين الطريق إلى الجنة بكلامه وبفعله، فحياته كانت تطبيقاً عملياً لتعاليم القرآن الكريم ومنهجاً واقعيّاً عملياً يُرى بالعين.

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» حم - ه - ك، وعن عائشة رضي الله عنها قالت «كان خُلُقُهُ القرآن» حم - م - د.

يخبر الله سبحانه وتعالى أن الفوز والنجاة يوم القيامة لا يكون إلا بالقلب السليم... قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: 26 / 88 - 89].

نفى الله سبحانه المنفعة بالمال أيّاً كان جنسه وبالبنين... وجاء بأداة الاستثناء (إلا) أي إن المنفعة يوم القيامة محصورة فيمن أتى الله بقلب سليم... والسؤال الآن ما هو القلب السليم؟

لقد أشار القرآن الكريم في بداية سورة البقرة الآية (10) بقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 2 / 10]، فنعت الله الكافرين والمنافقين بأن في قلوبهم مرض...

- **فالمعنى الأول** للقلب السليم هو القلب الخالي من الكفر والنفاق والشرك، أي الخالي من المرض.

- **المعنى الثاني** أن القلب السليم هو القلب الخالي من الكِبَر؛ لأن الله تعالى قال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: 40 / 35] ... فالقلب الذي فيه كِبَر لا يقبله الله تعالى ولا يغفر له، والكبر هو كما قال عليه الصلاة والسلام كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه «الكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ» أبو داود والحاكم.

بَطَرُ الْحَقِّ: أي رده ودفعه وعدم قبوله، وغمطُ الناس: أي احتقرهم وازدراهم وردّهم ولم يقبل منهم ونظر إليهم باستعلاء وتكبر، وظن في نفسه أنه خير منهم ... فهل بعد الكِبَر هذا من سوء، يردُّ الحق ولا يقبله ويُسَفِّه الناس ويحتقرهم، ويظن في نفسه أنه فوقهم جميعاً ... فإذا عرفت هذا السوء في هذا القلب علمت لِمَ طبع الله عليه، وربك أحكم الحاكمين، وربك يعلم ونحن لا نعلم، وربك العادل الحكيم سبحانه عن حارثة بن وهب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ جَعظريّ مستكبر» حم - خ - م - ت - ن - ه، (عتل): الغليظ الجافي قال تعالى ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: 68 / 13]، (جَوَاظ) وقيل: الجواظ هو الأكل والشروب البطر الكفور، وقيل: إنه المختال في مشيه الغليظ الفظ، الضخم أي استخدم ضخامته في ظلم الناس، وإلا فالضخامة هي من خلق الله تعالى، والله لا يحاسب الإنسان فيما ليس له فيه قدرة، (جَعظريّ) قيل: إنه الصخّاب في الأسواق، عالي الصوت قليل الاحترام للناس، وقيل: إنه المتكبر الذي لا يقبل الموعدة، وقيل: الجعظري هو الذي يتباهى بما ليس عنده.

وعن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قال تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منها قذفته في النار» حم - د - ه عن أبي هريرة، ابن ماجه عن ابن عباس ...

- **المعنى الثالث** أن القلب السليم هو القلب المنيب، لقوله تعالى ﴿مَنْ حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: 33 / 50] ... والقلب المنيب هو القلب الرجاع إلى الله ... وقيل: رجّاع إلى الله بوزاع العلم (تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج 7 ص 262)، وقيل منيب أي خاضع إلى الله تعالى (المباركفوري ص 1312)، والآية وضحت المنيب لأن الله تعالى وصف صاحب القلب المنيب بقوله: ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ﴾ [ق: 33] مَنْ حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: 33 / 50 - 32 - 33]، فوصفه الله تعالى بأنه:

1. **أواب:** أي راجع إلى الله تائب إلى الله مقلع عن المعاصي.
2. **حفيظ:** أي إنه يحفظ عهده مع الله ومع رسوله ومع الناس قريهم وبعيدهم ... يحفظ حق الله وحق رسوله وحق الناس قريهم وبعيدهم، وعهد الله وحق الله شرعه وحلاله وحرامه، وحق رسوله محبته وتقديره والإيمان التام بما جاء به رسول الله ﷺ وتطبيق سنته، وحق الناس وعهدهم بأن يحفظ وعودهم وعهدهم وألا يغشهم في التعامل، ولا يكذب عليهم ويكون ناصحاً لهم وهذا ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة لله، وكتبه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم» حم - م - د - ن عن تميم الداري، الترمذي - النسائي عن أبي هريرة.
3. **من خشى الرحمن بالغيب:** وهذه صفة ثالثة فعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» حم - خ - م - ن.
4. **وجاء بقلب منيب:** الصفة الرابعة تحوي جميع الصفات أواب، حفيظ، وخشى الرحمن بالغيب، فمن تحلى بهذه الصفات كان قلبه منيباً ... جاء إلى الله وهذه هي حال قلبه، دائماً رجّاع إلى الله، دائماً حفيظ على الشريعة وعلى السنّة، دائماً يخشى الله سراً وعلانية، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [١٣٤] وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ

ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِعَمَلِهِمُ الْأَعْمَالِ يُجْرَىٰونَ فِيهَا فِي مِجْرَىٰ الْمَعْيَرِ ﴿١٣٦﴾ [آل عمران: 3 / 133 - 136].

- **المعنى الرابع:** أن القلب السليم هو القلب الخالي من الزيغ ... قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمُ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ [آل عمران: 7 / 3]، والزيغ لغة هو (الميل)، ونقول: زاغت الشمس أي مالت إلى المغيب، فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق وميل عن مراد الله تعالى وانحراف عن مراد رسول الله ﷺ هذا هو الضلال وهذا هو الانحراف وهذا هو التخبط في شرع الله، فهذا المعنى منافٍ للقلب السليم الذي يحبه الله ويرضاه لذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 61 / 5]، ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: 34 / 12]، ونحن قولنا ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 3 / 8]، وقال سعيد بن الحسين رحمه الله تعالى: القلب السليم هو القلب السالم من البدع، والمطمئن إلى السنة ...

- **المعنى الخامس:** القلب السليم هو القلب الذي ليس عليه أفعال، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَيَّ قُلُوبٌ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 47 / 24]، ما هي الأقفال التي يمكن أن تكون على القلوب؟

1. **قالوا الأقفال:** هي حب الدنيا وحب الشهوات.
2. **وقالوا الأقفال:** هي الزيغ والضلال.
3. **وقالوا:** الإعراض والتولي عن ذكر الله.
4. **وقالوا:** المعاصي والذنوب.
5. **وقالوا الأقفال:** هي البعد عن السنة والإقبال على البدع لأنهم فهموا ذلك من الآية الكريمة ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 24 / 63].

- **المعنى السادس:** لو نظرنا في قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْعَةٍ ﴾ - أي سيدنا نوح - ﴿ لِإِبْرَاهِيمَ ﴾ [الصفات: 37 / 83] ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصفات: 37 / 84]، فهذه هي المرة الثانية التي يذكر الله تعالى فيها القلب السليم، ولكن بعض العلماء ذكر أن الآيات التي جاءت بعدها شرحت السبب الذي وصف الله به إبراهيم بأنه جاء بقلب سليم، فتعال معي ننظر إلى الآيات ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الصفات: 37 / 85 - 87]... فقالوا: إن من حارب الشرك وأعدائه ومن حارب الكفر وأهله وأثبت الألوهية والربوبية لله تعالى وأقام نفسه على شرع الله ودافع عن الشريعة وشعائرها بإخلاص وصدق لله نقول له ما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة: 9 / 18]

- **المعنى السابع:** وقالوا إن القلب السليم جاء التفصيل في سورة الشعراء نفسها كما جاء في سورة الصفات... ولكن في سورة الشعراء كان هناك نقاط تميزه أكثر مما في الصفات... ولو أن موضوع العبادة والألوهية والربوبية مشترك في السورتين، قال تعالى: على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ [الذرى ٧٨] وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ [٧٩] وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ [٨٠] وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ [٨١] وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ [٨٢] رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ [٨٣] وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ [٨٤] وَاجْعَلْنِي مِن وَّرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ [٨٥] وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ [٨٦] وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ [٨٧] يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ [٨٨] إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [٨٩] [الشعراء: 26 / 78 - 89].

فالقلب السليم:

1. من آمن بالله حقاً رباً وإلهاً وأسماءً وصفاتاً.
2. من آمن بأن الرزق من عند الله سبحانه.
3. وآمن بأن الشفاء بيد الله سبحانه.

4. وآمن بأن الموت والحياة بيد الله سبحانه.
5. وآمن بأن المغفرة بيده سبحانه
6. وآمن بأن الإنسان لا بد له من الحساب ولا بد له من الوقوف أمام يدي الله سبحانه يوم القيامة.
7. والدعاء والاتكال على الله سبحانه وطلب العلم والمعرفة من الله سبحانه ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ [الشعراء: 26 / 83].
8. والتواضع والتذلل إلى الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: 26 / 83].
9. واجعلني قدوة لمن بعدي تقتدي بي في فعل الخيرات والدعوة الى الله.
10. وتقبل مني أعمالي بأن ترزقني الجنة.
11. وأن لا تردني خائباً يوم القيامة أو ترفض أعمالي ... هل نحن كذلك ... هل إيماننا وعقيدتنا صحيحة ... هل نطبق شريعة الله كما أمرنا الله ورسوله ... هل نحب السنة ونحرص عليها ... هل قلبنا مطمئن بذكر الله ... هل نتوكل على الله ... هل نحسب للأخرة حساباً ... هل نحسب للقبر حساباً ... هل نحن قدوة حسنة لأولادنا، لأصحابنا، لجيراننا ... هل ندعو الله صباحاً ومساءً ... هل نستغفر الله على ذنوبنا، على معاصينا، على تقصيرنا.
- يا أخي كرر هذه الآية وذكّر نفسك بها ... ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩) [الشعراء: 26 / 88 - 89]، هل قلبك سليم لإخوانك تحب لهم ما تحب لنفسك ... تدعو لهم في تفريج كرباتهم، تدعو لمريضهم، تدعو لميتهم، تدعو لأولادهم ... همّك الأمة، همّك الهداية للناس، همّك الخير كل الخير لكل البشرية، لسانك عذب، قلبك سليم ... نيتك صافية.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بخيركم من شركم، خيركم من يرجى خيره، ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره» حم - ت وابن حبان.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير الناس ذو القلب المخموم واللسان الصادق، قيل: ما القلب المخموم؟ قال: هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد، قيل: فمن على أثره؟ قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة، قيل: فمن على أثره؟ قال مؤمن في خلق حسن» رواه ابن ماجه.

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث من كنَّ فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان: خلُق يعيِّش به في الناس، وورع يحجزه عن محارم الله، وحِلْمٌ يردّه عن جهل جاهل» رواه البزار.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أتدرون من السابقون إلى ظلِّ الله عزَّ وجلَّ! الذين إذا أُعْطُوا الحَقَّ قبلوه، وإذا سُئِلُوهُ بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم» حم - حل (أبو نعيم في الحلية).

صلَّيت في أحد مساجد دمشق، وبعد الصلاة سمعت رجلاً يسب ويصرخ ويعلوه الغضب، فعلمت أن حذائه قد سُرق، ولما هممت بالخروج مررت به وهو لا يزال على حاله، فأردت أن أخفف عنه، قلت له: يا أخي أود أن أقول لك ما حدث لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: (أخي لا تخفف دمك عليّ)، قلت والله أريد أن أخفف عنك، قال: وقصتك هذه تعيد لي حذائي؟ قلت: لا، ولكنها تفيد، قال على مضض: تفضل، قلت: سُرق حذاء عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقال: اللهم بارك له فيها، واجعلها راحة له، وتب عليه، واجعلها آخر سرقة يسرقها، وارزقه الخير واعفُ عنه، قال الرجل: جزاك الله خيراً، عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتصفح عمن ظلمك» حم - طب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

